وأهم المشكلات التي واجهت العراق في هذه الآونة هي المشكلة الكردية. وهذه المشكلة قديمة ثارت أكثر من مرة في العهد الملكي، وأخمدت حركاتها. وأصحابهاهم أكراد مسلمون سنيون يبلغون ١٦٪ من سكان العراق، وعددهم أكثر من مليونين بقليل، ويسكنون المنطقة الجبلية الشمالية الشرقية، ويرغبون في تحقيق نوع من الاستقلال الذاتي. وكان الانكليز هم الذين استقدموا أعدادا منهم من تركيا بعد ضربهم هناك فزاد عددهم، وبرز بينهم الملا مصطفى البرزاني. وقد ثار الأكراد في عهد عبد الكريم قاسم بقيادة الملا مصطفي البرزاني، واستنزفت الأعمال العسكرية بين الأكراد والجيش العراق الكثير من الضحايا والنفقات، وقد انتهت الثورة باتفاق في اليوم الثاني من مطلع عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)، وقد أعطى هذا الاتفاق الأكراد عدداً من المناصب الوزارية ونائبا لرئيس الجمهورية، وإدارة ذاتية في مناطقهم، الا أن الأكراد عادوا إلى الثورة مع زيادة الدعوة إلى العربية إذ يرون فيها تهديداً لهم وإذابة لشخصيتهم الأمر الذي دعاهم إلى إظهار شخصيتهم ومحاولة التأكيد عليها، وقد استغلت الدول الأجنبية هذا الجانب فكانت تحركهم ضد إيران من العراق ومن العراق ضد ايران وهكذا. وعندما التقى الرئيس صدام حسين مع الشاه رضا بهلوي في الجزائر عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) اتفقا على حل مشكلة شط العرب، وتنازل العراق عن بعض مطالبه مقابل كف إيران عن مساعدتها للأكراد لإضعاف شأن حركتهم. وبالفعل فقد توقفت الثورة نهائيا وخرج الملا مصطفى البرزاني وذهب إلى أمريكا وظل هناك حتى توفي في عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م). وواجه العراق في عهد الرئيس صدام حسين أزمات كثيرة منها حرب إيران التي استمرت ثماني سنوات واحتلال الكويت في عام ٢/٨/١٩٩٠م وما نتج عنها من حرب الخليج وفرض عقوبات اقتصادية وسياسية وعسكرية على العراق.

٤ ــ تركيـــا

تمتد في شمال بلاد الشام شبه جزيرة الأناضول التي تقع بين البحر الأبيض المتوسط وبحر إيجه والبحر الأسود من جهات الجنوب الغربي والغرب والشمال، وتتصل بالعراق من الجنوب الشرقي، وبإيران وأرمينيا وجورجيا من جهة الشرق.

وهي منطقة تزيد مساحتها على ٧٥٦ر٩٥٣ كيلو متراً مربعاً، كما يرتبط بها جزء من البر الأوربى يعرف باسم «تراقيا»، تبلغ مساحته ٢٣ر٦٢٣ كيلو متراً، بذا تكون مساحة تركيا ٧٨٠ر٥٧٦ كيلو متراً مربعاً. ويفصل بين الجزأين مضائق تعد ذات أهمية بالغة، وهي البوسفور الذي تقع عليه مدينة «استانبول»، ويبلغ عرضه في أضيق نقـطة منـه (١٠٠٠ م)، وبحر مرمرة، ومضيق الدردنيل، وهو أكثر امتداداً من البوسفور وأكثر عرضاً.

تتألف شبه جزيرة الأناضول من هضبة يصل معدل ارتفاعها إلى ١٠٠٠م تحيط بها سلاسل جبلية مرتفعة، ففي الشمال جبال «البونت» التي ترتفع كلما اتجهنا شرقاً، ويصل ارتفاعها إلى ٣٩١٠ م، وتميل بشدة نحو البحر الأسود، وفي الغرب المرتفعات الإيجية التي تصل إلى ارتفاع ٢٣١٢ م، وفي الجنوب جبال طوروس التي ترتفع كجدارٍ عالٍ يمتد وراء ساحل البحر الأبيض المتوسط، ويصل ارتفاعها إلى ٣٩١٦ م، وتأخذ اتجاهاً شمالياً شرقياً، وتشكل في الشرق عقدة جبلية هي هضبة أرمينيا وترتفع جبال أرارات إلى ١٥٦٥م، وتوجد في الهضبة بحيرات كثيرة تختلف في اتساعها وارتفاعها، بعضها عذب وبعضها الآخر مالح.

تكون المنطقة الجنوبية الغربية من البلاد متوسطية المناخ فصيفها حار جاف، وشتـاؤها دافىء مطير، وتقوم فيها زراعة الحبوب والعنب والزيتون والحمضيات والقطن. أما المنطقة الشمالية فهي معتدلة المناخ وتهطل فيها الأمطار شتاء، ولكن صيفها لايخلو من مطر بسبب وجود البحر الأسود، وتعد من أشهر مناطق إنتاج التبـغ. أمـا داخل البلاد فقاري جاف قبيل الأمطار، ويشتد البرد في المناطق الشرقية وتكسو الثلوج المرتفعات التي تغذى الأنهار عند ذوبانها في مطلع الصيف. وتنحدر الأنهار من الجبال نحو البحار، ومن المنطقة الشرقية تجرى مياه دجلة والفرات.

ونتيجة لطبيعة البلاد فإن مدنها المهمة هي التي تشرف على البحار، مثل: استانبول أكبر المدن وأشهرها وأعرقها، كانت العاصمة عشرات القرون. وأزمير، وصامسون وغيرها، أما مدن الداخل فهي قلاع حصينة تحف بها المرتفعات، أو تقع على ذراها أرضروم، وديار بكر، وأنقرة، وما كان منها مفتوحاً، ويقع في منطقة منبسطة فهي محصنة بأسوار وقلاع مثل قونية.

لمحـــة تاريخيـــة :

لقـد قامت مدنيات على أرض تركية من القـديم، ومنهـا ماأشـاده الحثيون ٢٢٢٢-١٨٢٢ قبل الهجرة، وكانت عاصمتهم مدينة «كركميش» على نهر الفرات قرب الحدود السورية اليوم، قريباً من مدينة «طرابلس» السورية، وانتقلوا إليها من حاضرتهم الأولى بالقرب من موقع «أنقرة» لأن خصومهم كانوا في الجنوب، وهم المصريون الذين وقعوا في صراع معهم على الأرض السورية، ثم ضعف أمـرهم، وانقسمت دولتهم، وغـزا اليونـانيون البلاد، ثم تقدم الإيرانيون عام ١١٦٨ قبل الهجرة، ثم جاء الأغريق بقيادة الاسكندر الكبير المقدوني عام ٩٥٦ قبل الهجرة، وبعد ذلك قامت الدولة الرومانية فجرت الحروب الكثيرة بين الرومان والفـرس. وفي عام ٢٩٢ قبـل الهجرة اتخذ قسطنطين عاصمة على البوسفور، وحملت هذه المدينة الجديدة اسم «قسطنطينية» وغدت حاضرة الروم البيزنطيين بعد أن انقسمت الـدولـة الـرومانية إلى غربية وشرقية، وتجزأت الديانة النصرانية، وأصبحت القسطنطينية مركز النصارى الأرثوذكس. واستمر الصراع بين البيزنطيين والفرس، وكانت الحروب بين مدٍ وجزر تارة ينتصر البيزنطيون ويتقدمون نحو الشرق، ثم لاتلبث أن تعود القوة للفرس ويدحرون البيزنطيين نحو الغرب. وكانت النصرانية قد أخذت الطريق نحو الرومان فاعتنقها الامبراطور، وفرضها على الشعب بالقوة فأخذها اسماً، وبقيت كل العادات وثنية، فحملت العقيدة الجديدة اسم النصرانية ولكنها ظلت في الواقع وثنية. وعندما انتشر الإسلام في جزيرة العرب كان الفرس في حالة انتصار، ثم لم يلبث أن عاد النصر إلى جانب البيزنطيين، وهزم الفرس.

وتحركت جيوش الإسلام نحو الشمال، وفتحت بلاد الشام بإمرة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وكانت من قبل تتبع البيزنطيين، وكان الصراع بين الطرفين في البر والبحر ففي البر استولى المسلمون على القسم الشرقي من الأناضول، وغـدت جبـال طوروس حداً فاصـلا بين الجانبين، وفي البحر غزا المسلمون القسطنطينية أيام الأمويين عدة مرات، وفتحوا قبرص وكريت ورودوس، وبقي الوضع في هذه الجبهة على هذا الشكل مدة طويلة من الزمن.

وفي العصر العبـاسي وطّن الخلفـاء أقسـامـاً من جيش خراسان في المناطق

الأناضولية الخاضعة لهم، وكان الخليفة المهدي يستقدم الأتراك من فرغانة [٤٧] وبلخ[٤٨] ويسكنهم في الثغور الواقعة على جبال طوروس أو عند أقدامها مثل: طرسوس، وأضنة، ومرعش، وملاطية، وآمد، وخلاط، وقاليقاد، والمصيصة، وعين زربة، وزاد عدد الترك في هذه المناطق في عهد المأمون والمعتصم، وأصبح الترك في عهد المتوكل يتولون إمرة هذه الثغور وحمايتها.

وفي عهد الدويلات التي انفصلت عن الدولة العباسية غدت هذه الثغور تحت حمايتها مثل الطولونيين والحمدانيين، وكانت الحروب سجالاً بين الطرفين، وإن بدا الضعف يظهر على الحمدانيين أيام سيف الدولة فكان الروم يصلون الى حلب، ويحاصرون الحمدانيين في قلعتها على غير ماترويه الكتب التاريخية التي تعطي هؤلاء الحمدانيين الشيعة صورة أكبر من واقعهم بكثير. ومع ضعف الدولة العباسية التي عادت حماية الثغور على كاهلها بعد زوال دولة الحمدانيين الشيعة ضعفت جيوش الثغور، واندحر المسلمون قليلاً، إلا أنه في هذا الوقت كانت جموع من الترك «الطوغوز أوغوز» تصل إلى الأناضول بعد أن تعتنق الإسلام وتجابه البيزنطيين وهم في عنفوان انتصاراتهم فتهزمهم، وقد استطاعت الانتصار عليهم عام ٤٦٣ هـ في معركة «ملازكرت» الشهيرة، ثم دحرتهم من آسيا الصغرى كلها، وأصبحت سادة جنوب غربي آسيا، ثم سيطرت على الدولة العباسية، وقد عرف هؤلاء الترك باسم السلاجقة، وإذا استطاع الروم أن يسترجعوا المناطق الساحلية إلا أن أقدام السلاجقة قد توطدت في الداخل، وكانت مدينة (قونية) حاضرتهم، وعرف هذا القسم من السلاجقة باسم سلاجقة الروم، وكانت تفدهم قبائل تركية بين مدة وأخرى.

كانت أوربا توجه عنايتها الكبرى لضرب المسلمين في الأندلس، وتعتقد أن البيزنطيين يكفونها الجبهة الشرقية إلا أن أوربا قد خاب أملها إذ هزم النصارى الأسبان في الأندلس أمام يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين الذي انتقل من البر الإفريقي إلى الأندلس لمساعدة المسلمين هناك، وذلك عام ٤٧٩ هـ وذلك في

---

(٤٧) فرغانة: من بلاد ماوراء النهر، وهى اليوم في جمهورية قيرغيزيا التي تخضع للسيادة الروسية.

(٤٨) بلخ: مدينة من بلاد خراسان وتقع اليوم في دولة أفغانستان.

معركة (الزلاقة) الشهيرة، وفي الوقت نفسه هزم الروم أمام السلاجقة المسلمين عام ٤٦٣ هـ .

ادعى نصارى أوربا أن السلاجقة يسيئون معاملة النصارى الذي يفدون الى المشرق لزيارة بيت المقدس، واتجه الصليبيون إلى المشرق، وفي طريقهم احتلوا أجـزاء من سواحـل الأنـاضـول، كما قامت دولة في كيليكيا يحكمها النصارى الأرمن، إلا أن غزو الصليبيين لمدينة القسطنطينية جعل النصارى ينقسمون إلى لاتين واغريق، ويقع الخلاف بين الطرفين، وأخيراً طرد الصليبيون من المشرق.

كان عدد الأتراك يزداد باستمرار في الأناضول على حين يتناقص عدد النصارى وخاصة في الريف، وأجلى السلاجقة النصارى من المناطق الداخلية إلى السواحل إذ لاحظوا تعاوناً كبيراً بين الروم النصارى والصليبيين أثناء هجومهم. وانقسم السـلاجقة إلى عدة إمارات تجاهد البيزنطيين، كما توجد إمارات غير سلجوقية ولكنها تحت حمايتهم تقوم بالمهمة نفسها.

وفـرت قبـائل تركية وثنية أمام التقدم المغولي، واستوطنت بلاد الأناضول، واعتنقت الإسلام، وشكلت دولة بني عثمان التي تعود إلى أميرها عثمان بن أرطغول الذي اتخذ مدينة (قرة حصار) قاعدة له، واستقل بعد مداهمة المغول للسلاجقة، وأصبح ملاذاً للكثير من المسلمين الذين يفرون من وجه التتار، وخاصةً أنه أول من اعتنق الإسلام من أمراء قومه، ولهذا انتسب إليه الخلفاء من بعده دلالة على ارتباطهم بالإسلام وليس بالعصبية، وتوفى عام ٧٢٧ هـ ، وكان خلفاؤه من بعده قد أخـذوا على عاتقهم جهاد البيزنطيين، وانتقلوا إلى أوربا عن طريق مضيق الدردنيل وغيّروا بذلك طريق الغزوات السابقة التي كانت تتخذ طريق البوسفور والقسطنطينية فتتوقف لحصانة المدينة ومتانة أسوارها.

وتقدم العثمانيون في أوربا وفتحوا مناطق واسعة، ثم هُزموا أمام تيمورلنك، وأسر سلطانهم (بايزيد)، وكادت الريح تعصف بدولتهم إلا أن محمداً الأول بن بايزيد قد تمكن من إعادة توحيد البلاد، وأخيراً تمكّن حفيده محمد الثاني من فتح مدينة القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م، وغدا اسمها (إسلام بول) ويطلق عليها (استانبول) أي مدينة الإسلام، وكان لهذا الفتح أثر عظيم حتى عدّ نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، ومن هذه المرحلة تدخل دراستنا لتركيا

بشكل مفصل إلا أن دراسة الدولة العثمانية قد جاءت مفصلة وفيها الكثير من الإطناب لذا نفضل إعطاء لمحة فقط عنها حتى زوال دولة بني عثمان.

وتمكّن السلطان سليم حفيد محمد الفاتح من دخول البلاد العربية، والوقوف في وجه البرتغاليين الذي أرادوا حرباً صليبية واضحة، وتقدموا من جهة الجنوب، فدخلوا عدن، واحتلوا مناطق الخليج العربي، كما استطاعوا بمساعدة الأحباش دخول البحر الأحمر، كما استطاع العثمانيون من دحر الفرس الشيعة الذين اتخذهم البرتغاليون مطيةً لهم، وتعاونوا معهم مستغلين الخلاف بين العثمانيين السنة والفرس الشيعة، وماقام به السلطان سليم الأول أكمله ابنه السلطان سليمان الذي وقف بعنف أمام البرتغاليين، ودعم سلطان المسلمين في الهند الذي غزاهم البرتغاليون أيضاً، وأتم ضم البلاد العربية إلى دولته وذلك بغية توحيد المسلمين في دولةٍ واحدةٍ قويةٍ، تقف في وجه الاستعمار الصليبي الجديد، إلا أن الصليبيين الأسبان والبرتغاليين قد تمكنوا من طرد المسلمين في الأندلس وقاموا يلاحقونهم في مختلف الجهات، وظهر الاستعمار الصليبي، ولم يشتد ساعد بني عثمان بعد، إذ خرج المسلمون من الأندلس قبل تولي السلطان سليم الحكم بعشرين عاما تقريباً، وإذا كان الهجوم الصليبي قد حمل اسم الاستعمار بسبب المنافسة الاقتصادية إلا أن الوجه الصليبي لم يختف أبداً.

كانت أوربا النصرانية بدولها المختلفة تقف في وجه الدولة العثمانية المسلمة، وتحرص على إخراجها من أوربا الشرقية واقتطاع أجزائها، وإذا كانت دول أوربا تختلف فيما بينها ويتنافس بعضها مع بعض في سبيل امتداد نفوذها، واقتطاع أجزاء من الدولة العثمانية، وأخذها الخيرات والأسلاب، إلا أنها كانت تتفق في وقوفها في وجه العثمانيين، ولو أنها تبدو في منافساتها أن بعضها يدعم العثمانيين، وتلتقي أيضاً دول أوربا الغربية بعضها مع بعض ضد مصالح روسيا التي تنافس أوربا، وتحرص أن تصل إلى المياه الحرة لتنازع الدول الغربية في الحصول على المستعمرات، ومدّ النفوذ واستغلال الأراضي والسكان، ولكن روسيا لايمكن أن ينتهي صراعها مع العثمانيين أبداً ماداموا يحملون العقيدة الإسلامية، وإن كانت ترى مرحلياً أنها تريد العودة إلى القسطنطينية، وإعادة مقر الكنيسة الأرثوذكسية إليها، والذي انتقل إلى موسكو بعد فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح،

والسيطرة على المضائق للوصول إلى المياه الحرة، ومن ناحية ثالثة ترى تحطيم القوة العثمانية العسكرية التي تدعم الشراكسة في قفقاسيا والتتار في القرم وحوض الفولغا، إذ كان التتار يحكمون روسيا وهم من المسلمين، وهم والعثمانيون أبناء عمومة فكلاهما إخوة سواء من حيث العقيدة أو الجنس، وكان أحدهما يحكم روسيا فالثاني يتحمل الوزر ويجب النيل منه. ولم تتغير سياسة روسيا على مدى التاريخ سواء أكان حكامها من القياصرة أم من الشيوعيين. وإن الخلاف الذي كان بين روسيا ودول أوربا الغربية هو الذي مدّ بعمر الدولة العثمانية بعض الزمن.

ويضطر سلاطين بني عثمان إلى أن يوقعوا بعض المعاهدات مع أعدائهم ويتنازلوا فيها عن بعض أجزاء من بلادهم، ويوافقوا على أن يكون للنصارى وضع خاص يختلف عن المسلمين، وسمح لهم بالتقاضي أمام محاكم خاصة غالباً ماتكون قاعاتها داخل سفارات الدول الأجنبية، ويسمح لهم أيضاً بفتح مدارس خاصة تدرس مناهج خاصة وكثيراً ماتكون موجهةً ضد الدولة العثمانية، وإظهار الدول الأجنبية بمظهر القوة والعدالة والحضارة والانسانية، وكانت هذه المدارس تعد مراكز للتخريب ومعاهد لتخريج المتفرنجين وأصحاب الأفكار المعادية.

وفي الوقت نفسه استطاعت الدول الأجنبية الاتصال برجالات من الشعب، وحرضتهم على الثورة ضد العثمانيين والعمل ضد المسلمين، وخاصة الأقليات الدينية مثل النصيرية والنصارى والدروز، وكذلك أصحاب الزعامات وقطاع الطرق وذوو المصالح والأهواء، وأمدتهم بكل عوامل القوة، وحركتهم للقيام بأعمال التخريب والثورات ووصفتهم بأنهم قاموا على الفساد والتأخر والرجعية، ونعتتهم برجال الوطن ومخلصيه لأنهم اتصلوا بالغرب وعملوا على إنهاض بلادهم وتحريرها، ولايزال هذا النعت قائماً إلى اليوم على الرغم من تغير الظروف وتبدّل الأوضاع وانتشار الوعي، ففخر الدين المعني لاتزال الكتب المدرسية تأخذ مما كتب عنه الغرب، وتعطيه صفات الوطنية والرجولة لابصفته الدرزية واتصاله بايطالية وعمالته لها فقط، ولكن لهذه الصفات دون ذكرها لأنه وقف ضد الدولة العثمانية، واستطاع السيطرة على لبنان مدة من الزمن ليست بالقصيرة، وكذلك بشير الشهابي الذي لايختلف عن الأول من ناحية العقيدة والارتباط والعمل ضد المسلمين،

وظاهر العمر الذي حكم شمال فلسطين بماله من قوة وأنصار من قطاع الطرق وعمـل ضد العثمانيين، وهؤلاء وأمثالهم يفخر بهم دعاة القومية ويعدونهم من رجالات الحركة الوطنية.

وفي أواخر عهد الدولة العثمانية زاد ضعفها، إذ بدأت الدول الأوربية تدعم الحركات التي تقوم ضد العثمانيين علناً، وبدأت الفكرة القومية تبرز في كل مكان تحت تأثير النصارى الذين لادعوة لهم سواها وسط المجتمع الإسلامي، وليكون لهم دور في البيئة التي يعيشون فيها حسب المخطط الذي رسم لهم، واستفاد النصارى من دعوتهم هذه فضمنوا إليها الأقليات التي كانت تتحرك باشارات الدول الأجنبية، ولعل ذلك اتضح منذ حرب الأماكن المقدسة عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٦ م) وماتلاها من أحداث عام ١٢٧٨ هـ (١٨٦٠ م) التي جرت في بقية أجـزاء بلاد الشام، واستغلت هذه الأقليات كل الوسائل لكسب الشباب من أبنائها، وحتى من المسلمين فاتخذت الجنس والمال والمركز وسيلة في سبيل تحقيق أهدافها.

وجاء دور اليهود في التهديم، واتفق هذا مع دور النصارى، فاليهود أرادوا أن يجمعـوا أشتـاتهم من مختلف أمـاكن الأرض لتكـون لهم دولة ذات شأن، ويتخلصوا من احتقار الأمم لهم لما عرف عنهم من مؤامرات واتخاذ كافة السبل في سبيل ابتزاز أموال الناس، وأنه ليس عليهم في الأميين من سبيل، كما كانوا يذبحون غير اليهود ليكون دمهم مادة يعجن بها طعامهم في أعيادهم، وكانت وجهتهم فلسـطين ويحلمـون بذلك، وكانت فلسطين تتبع الدولة العثمانية، ولم يرضـوا بغـيرهـا سواء ليبيا أم أوغنـدا اللتين عرضتا عليهم، وبذلوا إمكاناتهم الضخمة في سبيل تحقيق مآربهم، إلا أن السلطان العثماني عبدالحميد الثاني قد رفض مطالبهم وردّ إغراءاتهم، فوجهوا سهامهم عليه فادعوا أنه كان سفاكاً للدماء حتى أطلقوا عليه إسم السلطان الأحمر، كما أدعوا أن الشركسيات السبايا كانت تملأ قصوره، وأن رجالات مخابراته قد ملأت كل مكان، وأن أبناءه كانوا يترنمون برنين الذهب الذي يلقونه في مياه البوسفور، فراجت هذه الشائعات، وعملت الدوائر الأجنبية على نشرها، ولاتزال تردد، مع العلم أن الدولة العثمانية هي التي قبلت اليهود في أراضيها عندما طردوا من الأندلس مع المسلمين، وانتقل قسم

منهم إلى البلقان وأظهر عدد منهم الإسلام، وبقوا حقيقة على دينهم، يعملون ضد الدولة في الخفاء، وأطلق على هؤلاء اليهود اسم الدونمة أي المرتدون، وكان لهم دور في الحركات القومية، ومع العسكريين الذين حكموا تركيا بعد السلطان عبد الحميد الثاني.

وتمكنت القوي القومية من الانتصار على السلطان نتيجة الدعايات ضده، والعمل اليهودي بما يملك من إمكانات ضخمة ووسائل غير شريفة، والدعم الصليبي الأوربي، والحركات التي قامت في أرجاء الدولة، وكان مركز هذه القوى مدينة سالونيك في اليونان، وتحركت قوة من الجيش، واستولت على الحكم، واضطر السلطان للرضوخ لمطالبهم، وأظهر الرضا ريثما يجد الوقت المناسب، واستدار العام، وظهر للعسكريين أن السلطان ينتظر الفرصة المناسبة فاستبدلوه، وأصبح الخلفاء من بعده أداة طيعة بأيدي العسكريين ودعاة القومية ويهود الدونمة، ومن هذه المدة نستطيع أن نقول: إن الدولة أصبحت قومية تركية بعد أن كانت عثمانية إسلامية، إذ أصبح الحكم قومياً وإن بقي على رأس السلطة رجل ينتمي إلى بني عثمان يحمل اسم خليفة، ولم يكن في الواقع سوى صورة تُسيّر الأمور من ورائه ويضطر للتوقيع عليها.

تركيا الحديثـــة

اندلعت نار الحرب العالمية الأولى، ووقف الأتراك بجانب الألمان، وكان عليهم أن يجنبوا بلادهم الحرب بسبب الأوضاع التي كانت تعيشها، الا أن تأثير الضباط الألمان الذين يعملون في الجيش التركي، وكذا المستشارون في الحكم. حال دون ذلك ومع دخول تركيا الحرب تحركت العناصر المتعددة التي منها الأقليات، وقد كانت حركتها باسم القومية ولاشك فإن مقرها بلاد الشام التي تتجمع فيها الأقليات بشكل مكثف، ومنها الفئات المعتدلة التي تريد التغيير، وكان قيامها باسم الإصلاح، وتعاونت هذه العناصر بعضها مع بعض وشكلت جبهةً واحدةً، وكان اتصالها بالحلفاء وخاصة انكلترا وفرنسا صاحبتي النفوذ في بلاد الشام لما لهما من عناصر من الأقليات، سواءً أكانت النصرانية منها التي ترغب في فرنسا أم الدرزية التي كانت على صلة بانكلترا، وذلك منذ أحداث ١٢٧٨ هـ (١٨٦٠ م) وما سبقها من اتصالات أثناء حرب الأماكن المقدسة وماتلاها فيما بعد. ولما تكن

بلاد الرافدين بعيدة التأثر والتأثير في بلاد الشام.

أما في جزيرة العرب فقد كثّفت انكلترا اتصالاتها، واقنعت الشريف حسين حاكم بلاد الحجاز بالحركة ضد الأتراك، ومنته بما كان يطمع من زيادة في النفوذ، وبخاصة أنه كان في صراعات مع ماحوله في المنطقة من زعماء، فأرسل ابنه فيصلاً ليتدخل في أمر الذين انكشف أمرهم في بلاد الشام وقدموا للمحاكمة، وهو يعلم نتيجة أمرهم، كما يعلم ماستؤدى اليه الوساطة، وذلك ليتخذ من هذا الأمر ذريعة لقيام حركته، وحدث ماكان متوقعاً، وانطلقت الشرارة الأولى لحركته في صيف ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م)، وسكت عنه خصومه في الجزيرة وتوقفت العداءات إذ أن أكثرهم واقع في الأمر نفسه، أو أن الجياد المتسابق عليها قد توقفت كلها بأمر صاحبها ليتولى أمر واحد منها مرحلياً.

أما بقية البلدان الإسلامية فكانت تخضع بأغلبيتها للنفوذ الانكليزي أو الفرنسي أو الروسي أو الايطالي أو الهولندي، أي أنها كانت تحت سيطرة الحلفاء، وما كان متحرراً نسبياً من ذلك النفوذ فكان ذا دور ضئيل مثل افغانستان أو إيران التي تغلغل فيها آنذاك النفوذ الروسي من الشمال والانكليزي من الجنوب، ومثل اليمن التي احتل الانكليز سواحلها، وعندما وقف نجاشي الحبشة (اياسو) بجانب الأتراك، وأعلن إسلامه، قامت الكنيسة ضده، وأخيراً عزل، وألقي في السجن، ثم لقي مصرعه.

أعلن الشريف الحسين بن علي الجهاد ضد الأتراك الذين كانوا قد أعلنوا الجهاد ضد الحلفاء باسم الخليفة فضاع معنى الجهاد، وانقسم المسلمون بين (أي الجهادين)، يتبعون، وهذا ماأراده الحلفاء، وتحركت الفصائل العربية نحو الشمال، وتقدمت في بلاد الشام الداخلية على حين تقدم الانكليز على المناطق الساحلية، ونزل الفرنسيون على سواحل لبنان، وتراجع الأتراك وانسحبوا من بلاد الشام، وتوقف تقدم الحلفاء عند ذلك حسب خطة موضوعة وحسب اتفاقية سايكس - بيكو.

كان الحلفاء يخشون نقطتين أولاهما بقاء دولة تركية قوية والإبقاء على الخلافة التي هي عنوان تجمع المسلمين، لذا لابدّ من تحطيم ذلك بالسيطرة على أقسام من البلاد، لهذا تقدم الفرنسيون في منطقة (أضنة)، والطليان في منطقة (انطاكيا)

وكلاهما في الجنوب، واحتل اليونان منطقة (أزمير) في الغرب، وأصبحت مدينة (استانبول) وماحولها والمضايق بيد قوة من الحلفاء، وهذا الاحتلال سيبقى حتى يؤمن الحلفاء حكماً عسكرياً يستطيع أن ينفذ رغباتهم ويسير حسب مخططاتهم، وهذا ماتم على يد مصطفى كمال الذي أعلن العلمانية، وألغى الخلافة، وبدل الأبجدية، اذ استعمل اللاتينية عوضا عن العربية لينقطع حاضر الأمة عن ماضيها، وجعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد عوضا عن يوم الجمعة وأمر بلباس القبعة، وحذف المادة التي تنص على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام، وأخذ بالقانون السويسرى بديلاً عن مجلة الأحكام الشرعية، ومنع الأذان باللغة العربية، ونفى آل عثمان من البلاد. وعندما خرج الحلفاء من المناطق التي كانوا يسيطرون عليها، أظهر مصطفى كمال بالمظهر الوطنى والمنقذ للبلاد، وعقدت معاهدة جديدة معه هي معاهدة لوزان عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤م) بدلاً من المعاهدة السابقة التي هي معاهدة سيفر، التي أجبرت تركيا على توقيعها بعد هزيمتها عام ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) ومعاهدة أنقرة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م). أما النقطة الثانية التي كان الحلفاء يخشونها فهي ضعف تركيا الذي يؤدي بروسيا إلى الضغط عليها وانتهاز الفرصة للسيطرة على المضائق والوصول إلى المياه الحرة، ومنافسة الدول الغربية في هذا المجال، ولكن قيام الثورة البشيوعية في روسيا عام ١٣٣٦ هـ (١٩١٧ م)، وتفكك روسيا نتيجة ذلك، وقيام الثورات في وجهها كثير من المناطق واستقلال كثير من الأجزاء، كل هذا جعل الفرصة سانحة أمام الغرب ليدبر وضعه في تركيا بالشكل الذي يراه ولا يخشى القوة الروسية أبداً، وما استعاد الجيش الأحمر قوته، واستعاد الأجزاء المستقلة إلا وكان الغرب قد حلّ مشكلاته في تركيا، ومكن الوضع لمصطفى كمال، وهو الذي سحب جيشه من فلسطين وسمح للانكليز بالتقدم هناك، وسحب قواته إلى شمال حلب حسب مخطط متفق عليه.

على الرغم من هوية هذه الحركة القومية التركية الجديدة التي قادها مصطفى كمال والتي كانت معروفة باتجاهها الغربي وتأثرها بالحضارة المادية الغربية، وسيرها بالخط العلماني الواضح أو المحارب للإسلام أشد الحرب، ودعم الدول الصليبية الغربية ذلك أشد الدعم، إلا أنها في الوقت نفسه كانت تخشى عودته إلى الدول الإسلامية متأثراً بالحركات التي قامت في كثير من أجزاء العالم الإسلامي والتي

تؤيد عودة الخلافة، وتؤهله لزعامة العالم الإسلامي لما أصبح له من دعاية كبيرة هيئتها له دول غربي أوربا، ومع هذا كله كانت تخشاه رغم فجره وفسوقه وانحلاله فأبقت نقاط خلاف بينه وبين الدول الإسلامية المجاورة، فبقيت الموصل نقطة خلاف مع العراق ثم حلت لمصلحته العراق عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م)، وبقيت اسكندرونة نقطة خلاف مع سورية، ثم حلت لمصلحة تركيا عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) على الرغم من أن سكانها أكثريتهم من العرب، ويعدّ السوريون أصلاً منطقة كيليكيا ومرعش، وماردين، وديار بكر مناطق عربية، ويقولون: إن ذرا جبال طوروس هي الحد الفاصل بين العرب والترك، وهي منطقة الثغور القديمة.

الحياة السياسيـــة

صرح الحلفاء ساعة إعلان الهدنة بينهم وبين تركيا أنهم غير مستعدين للتفاوض مع أنور وطلعت اللذين كانت السلطة بأيديهما، نظراً لأنهما مسؤولون عن دخول الحرب، ولكنهم يقبلون المفاوضة مع عزت باشا إذا ما عين رئيساً للوزارة، وقد ألح مصطفى كمال على تعيين عزت باشا بهذاالمنصب، وتم الأمر وفاوض الانكليز نيابة عن الحلفاء، ثم عاد الانكليز وطلبوا من السلطان عزل عزت باشا من رئاسة الوزارة إذ انتهى الغرض منه، ومضى دوره، وأتى دور غيره فتم ذلك، وعين توفيق باشا رئيسا للوزارة وهو ذو صلة وثيقة مع الانكليز. وحلّ بعد ذلك المجلس النيابي بصفته عثمانياً وليس تركياً وأنه المسؤول عن الحرب.

ثم عزل توفيق باشا من رئاسة الوزارة، وحلّ محله (الداماد) فريد باشا، وكان الخليفة كل هذه المدة سجيناً في قصره، والانكليز هم أصحاب النفوذ حيث كان المندوب السامي والقائد العام لقوات الحلفاء الجنرال (هارنغتون) هما كل شيء في تركيا. وانتقل مصطفى كمال إلى الأناضول، وكان يتظاهر بولائه للخليفة، وطلب منه الانتقال إلى قلب الأناضول، ونقل القيادة إلى هناك، وتغيير حكومة فريد باشا. ولقد مكنت بريطانيا اليونان في هذه الآونة من احتلال أزمير ومنطقتها.

ووضعت هالة حول مصطفى كمال، إذ نجح في إثارة مظاهرات تأييدية، وحروب وهمية سواء في (سامسون) ضد الانكليز، أم في ازمير ضد اليونان، وأخيراً

سقطت حكومة فريد باشا، وتسلم رئاسة الوزارة الجديدة علي رضا باشا وزير الحرب السابق.

وجـرت انتخـابـات نيابية، ونجـح مصطفى كمال عن أنقرة، وعقد اجتماع المجلس النيابي في استانبول، ولكن تخلف عن اللقاء نواب انقرة الذين حضروا وحدهم هناك، وجرت اضطرابات، وأجبر علي رضا على الاستقالة، وجاء لرئاسة الوزارة صالح باشا.

اعتقل الحلفاء بعض أنصار مصطفى كمال في استانبول لمدة يوم واحد، وفرضوا سيطرتهم على الخليفة والمدينة معاً، وأجبر السلطان على إظهار الطاعة، وفي الوقت نفسه انسحب الحلفاء من مناطق الأناضول تحت اسم معارك وهمية دون أن يحدث أدنى اشتباكات، وهكذا خلا قلب الأناضول من أية قوة أجنبية، وكان هناك مصطفى كمال الذي بدأ للناس عدواً لدوداً للحلفاء عامة وللانكليز خاصة، في حين بدا السلطان مؤيداً لهم، وقد حل المجلس النيابي، واستقال صالح باشا، وألف الداماد (فريد باشا) وزارة جديدة.

أجرى مصطفى كمال انتخابات جديدة في الأناضول، وأضحت أنقرة مقراً للمجلس، ونقل الموظفين والضباط وأجهزة الدولة إليها، وبدأ بإنشاء جيش جديد ودولـة تقوم على أسس جمهورية، فسيّر الخليفة حملة إلى الأناضول وأخرى إلى كردستان، وكاد يسقط مصطفى كمال إلا أن إذاعة شروط الصلح (معاهدة سيفر) واضطرار السلطان على توقيعها ورئيس الوزراء فريد باشا قد قلب رأي الناس، وأصبحوا ضد الخليفة ورئيس الوزراء، إذ كانت تجبر حكومة استانبول على التوقيع وتتحمل وزر كل شيء، وتلصق بها كل مسؤولية، وتقطف الثمرة حكومة أنقرة بادعائها المعارضة والرفض، فهزم جيش الخليفة، وانتصرت أنقرة.

دعت انكلترا لعقد مؤتمر في لندن للنظر في معاهدة سيفر، ومثل تركيا وفدان أحدهما يمثل الخليفة والثاني مصطفى كمال، وعلى الرغم من أن مصطفى كمال يبدو معارضاً لكل شيء، ولم يكن قد هزم في حرب، ولكن أصرت انكلترا على حضوره، وتكلم وفده باسم الوفدين، ولكن قرارات المؤتمر قد رفضها مصطفى كمال، وبدت الدول تريد إرضاءه فعقد مفاوضات مع فرنسا، واتفق معها على تعيين الحـدود بين تركيا وسـورية، وانسحبت فرنسا نتيجة ذلك من كيليكيا،

وتنازلت ايطاليا عن (أضاليا)، كما تنازل لروسيا عن باطوم. وجرت حرب مع اليونان انتصر فيها اليونان في البداية ثم انسحبوا فجأة فارتفعت اسهم مصطفى كمال في البلاد، وبدا أنه المنقذ الوحيد، وكان يتلقى الدعم من روسيا عبر خطوط الانكليز.

أما حكومة استانبول فلم تكن لتستطيع فعل شيء فالمدينة بيد الحلفاء، وهم يظهرون حيادهم، وتابع مصطفى كمال تقدمه في تراقيا عبر خطوط الانكليز، ثم انسحب اليونـان فجأة، وهكذا ذاع صيت مصطفى كمال، وغدا رجل البلاد الوحيد، وعقد هدنة مع اليونان في صيف ١٣٤٠ هـ . ولم يبق في البلاد سوى الانكليز.

دعيت حكـومـة استانبول وحكومة أنقرة لعقد مؤتمر في لوزان (سويسرا) في خريف عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٢ م) من أجل عقد معاهدة صلح، ورأي مصطفى كمال الوقت مناسباً فأعلن فصل السلطة عن الخلافة، ولما لم يوافقه المجلس، أذاع الموافقة على ذلك بالإجماع من نفسه، وهدد بقتل من يعلن رفضه. وبعد خمسة أيام جرى انقلاب في استانبول بموافقة قائد قوات الحلفاء هناك، وأبعد السلطان وحيد الدين، ونودي بابن عمه عبد المجيد خليفة للمسلمين، وبعد ثلاثة أيام عقـد مؤتمـر لوزان، وحضره وفـد أنقـرة فقط، ووضـع (كرزون) رئيس الوفد الانكليزي أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وهي:

١ ــ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاماً.
٢ ــ طرد الخليفة خارج الحدود.
٣ ــ مصادرة أموالـه.
٤ ــ إعلان علمانية الدولة[٤٩].

وعُلق نجـاح المؤتمـر على تحقيق هذه الشروط، ولكن الـوفد التركي برئاسة عصمت اينونو قد رفض ذلك وعاد، وأيده المجلس الوطني في تركيا بهذا الرفض، ولكن مصطفى كمال قرر تنفيذ ذلك، فحلّ المجلس، فاستقالت الوزارة وحدثت أزمة وزارية، وفي اليوم التالي أعلن مصطفى كمال الجمهورية التركية، وشكل

(٤٩) الدولة العثمانية: د. على حسون ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ ١٤٠٠هـ.

بنفسه الوزارة بناءً على تكليف الجمعية له. وبإعلان الجمهورية انتخب مصطفى كمال رئيساً لها.

وفي ربيع ١٣٤٢ هـ دعا المجلس الوطني للاجتماع، وعرض عليه مرسوماً بطرد الخليفة، وإلغاء الخلافة، وفصل الدين عن الدولة، فاستمر النقاش عدة أيام، وفي اليوم الثالث أذيع نبأ إلغاء الخلافة والسلطنة وفصل الدين عن الدولة، وفي الوقت نفسه صدر أمر إلى السلطان عبد المجيد بمغادرة البلاد، وتلا ذلك إلغاء الوظائف الدينية، وأصبحت الأوقاف ملكاً للدولة، وكان هذا كله مفاجأة للناس والنواب إذ تم برأى مصطفى كمال وحده، وهكذا حقق ماطلبه الانكليز لنجاح مؤتمر لوزان، ولم يمض سوى شهر ونصف على ذلك حتى دعي الى مؤتمر لوزان، وبعد ثلاثة أشهر وقعت المعاهدة، ونسخت معاهدة سيفر، واعترفت الدول باستقلال تركيا، وغادر الانكليز مدينة استانبول.

تفرّد مصطفى كمال بحكم البلاد بعد الغاء الخلافة الإسلامية، إذ لم يعد هناك مايقيده من شرع أو مثل، فألغى القانون الإسلامي، والأحرف العربية، وتبنى التقويم النصراني إلى جانب التقويم الهجري الإسلامي، ثم ألغى الأخير منهما وأكتفى بالأول، وترجم القرآن للتركية، وعدّة قرآناً وليس ترجمة، ومنع الحجاب، وفرض السفور، واللباس الأجنبي، وقضى على كل ماكان قديماً أو تقليدياً أو له صفة دينية، وجعل لباس العلماء خاصاً بالمساجد أما خارجها فلباسهم اللباس الأجنبي، وتبنى يوم الأحد عيداً وعطلة أسبوعية تشبهاً بالنصارى، وفرض على خطباء المساجد كيل المدح له، وتخصص الخطب للثناء على أعماله ومشروعاته، ثم أخلى جامع (أيا صوفيا) ومسجد (الفاتح)، وجعلهما متحفين، وكانت مبادىء حزبه (حزب الشعب الجمهوري) ستة هي: (القومية ـ الجمهورية ـ الشعبية ـ العلمانية ـ الثورية ـ سلطة الدولة)، وكان كل من يخالفه يختفي بصورة أو بأخرى، وحرص على أن يتخلص من الجماعات ذات الاتجاه الإسلامي، سواء أكان سلبياً أم غير ذلك من الصوفيين، فقادت الحركة النقشبندية المعارضة ضد الكماليين، وقامت بثورة عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) في المنطقة الجنوبية الشرقية من البلاد، ثم انطلقت ثورتها الثانية عام ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م)، كما ظهرت الحركة التيجانية والنورية، ولكنهما لم تحملا السلاح، وإنما تبنت المعارضة بالدعوة،

وتنتمي الحركة النورية إلى بديع الزمان سعيد النورسي الذي أصدر عدداً من الكتب تحت عنوان (رسائل النور)، واستقطب حوله الكثير من الشباب، وألف (الاتحاد المحمدي)، ونصح المسؤولين والحكام ومنهم مصطفى كمال نفسه، وقد حاول مصطفى كمال استمالة النورسي والتأثير عليه فلم يفلح، فأمر بنفيه، ثم اتهمه بمؤامره لقلب نظام الحكم فأودع السجن ثم نفي ثانية، إلا أن كتبه كانت منتشرة في الأماكن جميعها، وتعد بالنسخ باليد، ولماعظم أمره، استدعي للمحاكمة ولكنها برأت ساحته، وفي عام ١٣٦٧ هـ / (١٩٤٨م) تراخت الدولة قليلاً في هجومها على الحركات الإسلامية، وسمحت بطباعة رسائل النور فانتشرت بسرعة فألقي القبض عليه وأحيل للمحكمة عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٩ م)، وحكم عليه بالسجن مدة عشرين شهراً، وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى توفي عام ١٣٧٩ هـ / (١٩٥٩ م).

أما من ناحية السياسة الدولية فقد رسمت حدود تركيا مع اليونان على محاذاة نهر (مارتيزا)، وأعيدت بعض جزر بحر إيجه إلى اليونان، وجرى تبادل في السكان، فغادر تركيا ١٫٣٠٠٫٠٠٠ نصراني اتجهوا إلى اليونان، وعاد بالمقابل ٤٠٠٫٠٠٠ مسلم.

أما مع العراق فقد ضمت الموصل إلى العراق عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م)، وكانت من قبل موضع خلاف بين الدولتين، إذ انسحب منها الترك بعد وقف إطلاق النار في الحرب العالمية الأولى بين الأتراك والانكليز الذين دخلوا العراق.

ومع سورية ضم لواء اسكندرونة إلى تركيا عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) بعد سلخة من سورية، ودخلته القوات التركية في العام التالي ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م)، وذلك حسب اتفاق مع فرنسا التي كانت دولة منتدبة على سورية.

وبحثت الحكومات المتعاقبة عن حلفاء لها مع الدول الصغرى، فوقعت معاهدة البلقان، ثم عقدت ميثاق سعد أباد مع أفغانستان وإيران والعراق.

ومات مصطفى كمال عام ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ م)، وانتخب مكانه مساعده

عصمت اينونو[٥٠] وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب.

بدأت الحرب العالمية الثانية، ووقفت تركيا على الحياد رغم وجود عناصر رغبت في الاشتراك فيها إلى جانب الألمان، وخاصة بعد الانتصارات الألمانية التي وقعت في بداية الحرب، وعندما بدت هزيمة دول المحور وقفت تركيا بجانب الحلفاء لتحصل على بعض المنافع، إلا أن مطالب روسيا الشديدة في ضم أجزاء لها من تركيا الشرقية قد دفع تركيا إلى الاتجاه نحو الغرب، فتلقت مساعدات من الولايات المتحدة عام ١٣٦٧، وجهزت أراضيها بالقواعد الأمريكية، ودعم الجيش التركي.

أعطت الحكومة شيئاً من الحرية في أعقاب الحرب العالمية الثانية فتشكل الحزب الديمقراطي عام ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) نتيجة انشقاق حدث داخل صفوف الحزب الوحيد الحاكم (حزب الشعب الجمهوري)، وحصل الديمقراطيون على بعض النجاح في الانتخابات على الرغم من تدخل الحكومة لمصلحة مرشيحها، ونال على إثرها الديمقراطيون اضطهاداً من قبل الحكومة، فتدخل في الأمر رئيس الجمهورية عصمت اينونو، الأمر الذي أدى إلى استقالة وزارة (رجب بكر)، وشكل (حسن سقا) وزارة جديدة، وكان أميل إلى إعطاء الحرية، وكذا الذي خلفه في الوزارة وهو (شمس الدين غونالتايا) حيث أعطى مزيداً من الحرية، فتشكل حزب آخر عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) وهو الحزب القومي المحافظ، ولكن الحركات الشيوعية والاشتراكية قد أحمدت.

نجح الحزب الديمقراطي في الانتخابات عام ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) بسبب السياسة العلمانية والاقتصادية التي انتهجها حزب الشعب الجمهوري، وبعد

---

(٥٠) عصمت اينونو: ولد في أزمير عام ١٣٠٢هـ، وعمل ضابطاً في الجيش، وخدم في اليمن، وقاد الجيش الرابع في سورية أثناء الحرب العالمية الأولى، وانضم إلى مصطفى كمال بعد الحرب، وانتخب نائباً عام ١٣٣٩هـ، ثم عين رئيساً لأركان مصطفى كمال، ثم وزيراً للخارجية عام ١٣٤٠، ثم تسلم رئاسة الوزارة، وكان زعيم المعارضة مدة حكم الحزب الديمقراطي ١٣٧٠-١٣٨٠، وشكل حكومات ائتلافية، بعد ذلك ١٣٨١-١٣٨٥، وخلفه بولاند اجاويد في زعامة الحزب عام ١٣٩٢، وتوفي عصمت اينونو عام ١٣٩٣هـ.

الانتخابات نجح في تسلم رئاسة الجمهورية السيد (جلال بايار[٥١])، وتسلم عدنان مندريس رئاسة الوزارة التي غدت في عهد الحزب الديمقراطي ذات صلاحيات واسعة، تبنّى الديمقراطيون السياسة الأمريكية، وحصلوا على الدعم من الولايات المتحدة، ولكن التدهور الاقتصادي أصبح واضحاً، فقويت المعارضة، وقامت الحكومة بإلغاء حزب الشعب الجمهوري، واعتقال أعضائه، ومصادرة أملاكه ومؤسساته، وفي الوقت نفسه حرصت على التقرب من المسلمين الناقمين على السياسة الكمالية سياسة حزب الشعب الجمهوري، وانحازت تركيا في هذه الآونة إلى حلف شمالي الأطلسي عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م)، وعقدت اتفاقيات صداقة من كل من اليونان ويوغوسلافيا عام ١٣٦٣ هـ (١٩٥٣ م) ثم تحولت هذه الاتفاقيات إلى حلف البلقان عام ١٣٧٤ هـ (١٩٥٤ م)، كما انضمت إلى حلف بغداد عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥م).

تأسس حزب الحرية عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م)، والحزب القومي الجمهوري وهو حزب الشعب الجمهوري الملغى، واندمج الحزبان عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨ م) مع حزب الفلاحين الجمهوري. وأدت حوادث القمع إلى خسارة الديمقراطيين في انتخابات ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م)، فادعت الحكومة أن هناك مؤامرة من تسعة ضباط وذلك عام ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩ م) وزجت عدداً من الأبرياء في السجون، واضطر الحزب كما اضطر سابقه إلى التراجع عن عدائه للإسلام، إذ سمح بتلاوة القرآن الكريم في الاذاعة، وافتتاح بعض المدارس الشرعية، وأنشأ كلية الدين الإسلامي في أنقرة.

وفي ربيع عام ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠ م) منع عصمت اينونو زعيم المعارضة من

---

(٥١) جلال بايار: ولد عام ١٣٠٤هـ في ضاحية من ضواحي مدينة (بورصة)، ودرس المالية والاقتصاد في مدرسة يهودية فرنسية، وعمل في مصرف الشرق الألماني، وخدم جمعية الاتحاد والترقي، وأصبح أمين عام فرع أزمير لتلك الجمعية، وبعد الحرب العالمية الأولى انضم الى حركة مصطفى كمال، وانتخب عضواً في المجلس النيابي التركي عام ١٣٣٩هـ عن مدينة أزمير، وتسلم وزارة الأعمال ١٣٤٠هـ ثم استقال من منصبه عام ١٣٤٣هـ، ثم تسلم وزارة الاقتصاد، ثم رئاسة الوزارة عام ١٣٥٦، وبعد موت مصطفى كمال انشق عن الحزب الجمهوري، وشكل الحزب الديمقراطي عام ١٣٦٦، وفاز برئاسة الجمهورية عام ١٣٧٠هـ.

دعايته الانتخابية، ولم يمض عدة أسابيع على ذلك إلا وتدخل الجيش في الأمر، ثم قلب الوضع برئاسة الجنرال (جمال غورسيل[٥٢])، وأعدم عدنان مندريس رئيس الوزراء مع وزيرين آخرين من وزرائه، وخفف حكم الإعدام عن جلال بايار لكبر سنه إلى السجن مدى الحياة، ولقد كان الجيش الأداة المنفذة لضرب النشاط الإسلامي قبل أن ينمو بسبب الخوف من العودة إلى الإسلام.

لقد وضع خمسة أشخاص مسودة دستور لتركيا، وقدمت إلى الجمعية التأسيسية فصدقت عليها في صيف ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) باستفتاء، ونص الدستور على تشكيل مجلسين أحدهما للشيوخ والثاني للنواب، وإجراء انتخابات بالتمثيل النسبي، وينتخب رئيس الجمهورية من قبل المجلسين. وجرت الانتخابات عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م)، وانسحب الجيش من الحلبة السياسية. ونتيجة الانتخابات حصل حزب العدالة الجديد على ٣٥٪ من الأصوات ونال ١٥٨ مقعداً، وكان بزعامة الجنرال المتقاعد (راغب جومو سبالا)، وقد تأسس إثر الانقلاب العسكري عام ١٣٧٩ هـ. كما نال حزب الشعب الجمهوري ١٧٣ مقعداً وافتتح المجلس النيابي، وانتقلت السلطة إلى المدنيين، وانتخب جمال غورسيل رئيسا للجمهورية، وكان المرشح الوحيد، وكلفت عصمت اينونو زعيم حزب الشعب الجمهوري بتشكيل وزارة ائتلافية.

جرت انتخابات تكميلية عام ١٣٧٣ هـ (١٩٦٣ م) فاز فيها حزب العدالة بعدد إضافي من المقاعد فانفض الائتلاف الحكومي، وشكل عصمت اينونو حكومة أقلية من حزبه، ولكنها استقالت عام ١٣٨٤ هـ (١٩٥٦ م)، وألف بعده سعاد خيري أولغو بللو) المستقل حكومة ائتلافية من كافة الأحزاب، ولكنها لم تحكم سوى مدة قصيرة.

جرت الانتخابات العامة عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) ففاز فيها حزب العدالة، وشكل زعيم الحزب الجديد (سليمان ديميريل) حكومة حزبية، ونظراً لسوء حالة رئيس الجمهورية الصحية لذا فقد انتخب (جودت صوناي) رئيساً للجمهورية

---

(٥٢) جمال غورسيل: من ضباط مصطفى كمال القدماء، وقاتل معه في غالبيولي، ثم تسلم رئاسة الأركان أيام الحزب الديمقراطي، قام بحركته، وتسلم رئاسة الجمهورية عام ١٣٨١، وتوفي عام ١٣٩١هـ.

عام ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م). وحـاولت تركيا في هذه المـدة حل مشكـلاتها مع روسيا، ووسعت علاقـاتهـا مع بقية الدول الشيوعية، وفي الوقت نفسه وقفت بجانب الدول العربية وبدأت العلاقات بين الجانبين تسير نحو الأحسن إذ أغلق المكـتب السياحي الاسرائيلي في تركيا عام ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م)، كما ألغيت الاتفاقية التجارية التي كانت قد وقعت بين الطرفين عام ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م).

جرت الانتخابات العامة عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) وفاز حزب العدالة فيها مرة أخرى، وعاد سليمان ديميريل إلى الوزارة من جديد إلا أن الجيش تدخل من جديد، وأقال رئيس الوزارة من منصبه مدعياً مخالفة تعليمات العسكريين، ولعـل هذا التـدخـل كان بسبب تصرفـات رئيس الوزارة مع اسرائيل والدول الشيوعية والبلدان العربية وما سبق أن ذكرنا، ومحاولته أيضاً الإفادة من القوة الإسلامية التي تعد ضربة كبيرة إلى الكماليين والأجانب الذين لايرضون عن هذه الإفادة خشية ازدياد النفوذ الإسلامي، وقد هدد الجيش حزب العدالة بحصر حق التصويت بالمتعلمين فقط، وهذا مايؤدي الى فشل الحزب الذي يلقي التأييد من المناطق الشرقية ذات النسبة المتعلمة الضئيلة وذات العاطفة الإسلامية، وقد كان هذا التهديد عام ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م).

تشكلت حكومة مستقلة برئاسة (نهاد ايريم) اشترك فيها عدد من الأحزاب منها العدالة، والجمهوري، والديمقراطي الذي أعيد تشكيله بعد انشقاق عدد من أعضاء حزب العدالة عنه إذ نقموا على زعيمه (سليمان ديميريل) بسبب إبعاد عدد من الوزراء من حكومته السابقة، وكان من هؤلاء المنشقين (فروح بوزبايلي) رئيس المجلس النيابي، ونجل عدنان مندريس، وابنة جلال بايار. ولم يلبث أن سحب حزب العدالة وزراءه فسقطت الحكومة.

انتهت مدة جودت صوناي من رئاسة الجمهورية، وحدثت أزمه في انتخاب رئيس جديد إذ رشح الجيش (فخري كورتورك)[٥٣]، ورشح حزب العدالة (تاكين

(٥٣) فخري كورتورك: رئيس الأركان التركي، زوج شقيقة عقيلة الرئيس السابق جودت صوناي، قدم استقالته من رئاسة الأركان بعد ترشيح الجيش له لرئاسة الجمهورية، وفي الـوقت نفسه قدم وزير الدفاع استقالته من منصبه ومن عضويته في مجلس الشيوخ ليفسح المجال أمام الرئيس التركي لتعيين كورتورك في مجلس الشيوخ لإمكانية ترشيحه للرئاسة لأن الدستور التركي ينص على انتخاب الرئيس من مجلس الشيوخ فقط.

اربيون)[٥٤] وجرى الانتخاب، ونجح فخري كورتورك.

جرت الانتخابات العامة عام ١٣٩٢ هـ، ودخلها حزب جديد هو حزب السلام الوطني، وهو ذو ميول إسلامية، وقد حصل على تسعة وأربعين مقعداً، بزعامة (نجم الدين أربكان)[٥٥] على حين حصل حزب الشعب الجمهوري على ١٨٩ مقعداً وحصل حزب العدالة على ١٤١ مقعدا، ونال حزب الثقة الجمهوري ١٢ مقعـدا. ولم يتمكن حزب وحده من تشكيل حكومة فحدثت أزمة وزارية استمـرت مائـة يوم، ثم تشكلت وزراة ضمت عناصر إسلامية برئاسة بولاند أجاويد زعيم حزب الشعب الجمهوري، واشترك فيها حزب السلام الوطنى وكان زعيمه نجم الدين أربكان نائب رئيس الحكومة، ويبدو أن الاتفاق قد تم بينهما بعد لقاءات أعلن الأول فيها تنازله عن الوقوف في وجه الإسلام.

وأنزلت تركيا قواتها عام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) في جزيرة قبرص، واحتلت ثلث الجزيرة، نتيجة العداء المستحكم فيها بين المسلمين الأتراك والنصارى اليونان، وحصلت الحكـومة نتيجة ذلك الإنزال على تأييد شعبي كبير، ورغب كل من الحزبين الإفادة من هذا التأييد، والإعلان أن الإنزال كان برأيه، وهذا مادعا إلى فرط عقد الائتلاف إذ ظهر أن نجم الدين أربكان كان هو وراء الإنزال وهذا ما دعا إلى إبعاده عن الحكم إذ أناب رئيس الوزراء مكانه أحد وزراء الدولة عندما ذهب إلى مهمة والأصل أن يتولى الأمر من يتولى منصب نائب الرئيس، وهذا ما جعل نجم الدين أربكان يقدم استقالته الأمر الذي دعا إلى استقالة الحكومة كلها.

---

(٥٤) تاكين اريبورن: قائد سلاح الطيران عام ١٣٨٠هـ، لم يشترك في الانقلاب الذي وقع يومذاك فجرد من منصبه العسكرى، وقدم للمحاكمة فسجن ستة أشهر، كما سجنت عقيلته مدة سنتين ونصف إذ كانت عضواً في المجلس النيابي آنذاك، وكان رئيس مجلس الشيوخ، وسيتولى رئاسة الجمهورية بحكم القانون إذا لم يتوصل المجلس إلى انتخاب رئيس جديد.

(٥٥) نجم الـدين أربكان: مهندس ميكانيكي، حصل على الدكتوراه من جامعات ألمانيا وعمـل في جامعة استانبول، انتخب رئيساً للغرف التجارية والصناعية في تركيا عام ١٣٨٨، فقطع العلاقات التجارية مع اسرائيل، فأقالته الحكومة من منصبه لذلك التصرف.

شكل (سعدي إيرماك) الوزارة ولكنه لم يلبث غير مدة قصيرة حتى استقالت حكومته، ورفض بولاند أجاويد تشكيل وزارة بغية إيجاد أزمة حكومية يضطر معها رئيس الجمهورية إلى حلّ المجلس النيابي، وإجراء انتخابات جديدة يتوقع أجاويد فوز حزبه فيها بعد ما كسب من تأييد إثر الإنزال التركي في قبرص، إلا أن رئيس الجمهورية قد كلف سليمان ديميريل زعيم الحزب الثاني في المجلس بتشكيل حكومة ائتلافية من حزب العدالة[٥٦] والسلام الوَطني[٥٧]، والعمل الوطني[٥٨] الذي يرأسه (ألب اسلان توركيش)، والثقة الجمهوري الذي يرأسه (تورهان فايز أوغلو)، وقامت المعارضة من حزب الشعب الجمهوري[٥٩] برئاسة (بولاند أجاويد)، والحزب الديمقراطي[٦٠] بزعامة (فروح بوز بايلي؛)، وتمكنت هذه الحكومة من إقامة عدد من المصانع أربكت أصحاب رؤوس الأموال، كما يوجد من الأحزاب الأخرى[٦١].

حصلت الانتخابات العامة عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)، ولم يفز أحد الأحزاب الرئيسية بأكثرية مطلقة، وضعفت مقاعد حزب السلام الوطني إذ تضاءلت إلى ٢٤ مقعداً، وألف سليمان ديميريل الحكومة، وبدأت أعمال عنف في البلاد بين

(٥٦) حزب العدالة: شعاره: الحصان الأبيض

(٥٧) حزب السلام الوطني: وشعاره: سبابة متجهة إلى أعلى وترمز إلى (الله واحد).

(٥٨) حزب العمل الوطني: وشعاره: ثلاثة أهلة.

(٥٩) حزب الشعب الجمهوري: وشعاره ستة أسهم وتعني (الوطنية ـ الجمهورية ـ العلمانية ـ الثورية ـ التقدمية ـ الشعبية).

(٦٠) الحزب الديمقراطي: شعاره: كف ممدودة وتعني أن كل الكلام للشعب.

(٦١) من الأحزاب الأخرى الموجودة: حزب الوحدة التركي: وشعاره الأسد محاط بنجوم وبرأسه مصطفى تميسي. والحزب الاشتراكي العمالي: وقد تأسس حديثاً ويرأسه الدكتور (أويا بيدر).

وهناك أحزاب غير مرخص لها بالعمل مثل:

أ ـ حزب العمل التركي: وهو ذو ميول شيوعية وترأسه السيدة بهيجة بوران، ويرى إعطاء الأكراد والأرمن حقوقهم القومية حسب رأيهم، والانسحاب من الأحلاف العسكرية.

ب ـ حزب الشباب الاصلاحي.

جـ ـ الحزب الشيوعي: ويرأسه (ي. دمير) ومركز الحزب شرقي تركيا.

المتطرفين من القوميين والشيوعيين، وكان عدد القتلى يزداد يوماً بعد يوم، ويبدو أن حزب العمل الوطني كان وراء بعض الحوادث والشيوعيون وراء بعضها الآخر، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن حزب السلام الوطني قد زاد من نشاطه ولقى نجاحاً، الأمر الذي أخاف العسكريين، وأخافهم عودة الإسلام ونجاحه دون علمهم، كما خشوا أن يقوى ساعد الشيوعيين. وبينما كانت الأحداث تقع يقوم العسكريون بانقلابهم بإمرة الجنرال (كنعان افرين) ويبدو أنه لقي تأييداً كبيراً من الولايات المتحدة، وقد وضع قادة الأحزاب في السجن ثم أفرج عنهم باستثناء نجم الدين أربكان الذي اعتقل معه عدد من قادة حزبه، كما اضطهد مؤيدوه، وتوقف المد الإسلامي ولعل هذه غاية الانقلاب العسكري ومهمته الأولى.

الحيـاة الاجتماعيـة

اختلفت الحياة الاجتماعية في تركيا اختلافاً بيناً بين أيام الدولة العثمانية وأيام الدولة التركية الحديثة العلمانية. لقد كانت الحياة إسلامية بخطها العريض، وإن كانت تبتعد عن هذا الخط تدريجيا مع مرور الزمن، كما تختلف من سلطان لآخر فربما جاء متأخراً بأفضل من سلفه، إذ شغل السلاطين الأوائل بالجهاد والفتوحات فبقوا على فطرته السليمة وطبيعتهم الأولية أصحاب عاطفة إسلامية بل زادهم الجهاد قوةً معنويةً فلم تستذلهم الدنيا ونعيمها، ولم يركنوا إلى الأرض وزخرفها، ورغم ضعف الدولة فيما بعد وتوقف الجيوش عن التقدم، ومتابعة القتال، وفتور الهمة، وضعف السلاطين إلا أن العاطفة الإسلامية قد بقيت هي السائدة فلم يكن لينخرط في الجيش غير المسلمين، إذ لم يسمح لغيرهم أبداً ما دام القتال جهاداً، وكان لكل قطعة موجهها وإمامها، ومن أعفى لحيته أعفى من الجندية. ولم تكن هنـاك مخالفات شرعية فالخمر محرم، والدعارة محرمة وممنوعة، والمجلة الشرعية هي القـانون الذي يعمل به، والدعوة قائمة، والأقليات غير المسلمة تحارب فيما إذا رغبت في إظهار عقائدها المنحرفة أو ظهر منها فساد في الأرض، أو اتصال مع الأجانب، وهذا لم يكن ليمنع وجود مخالفات بل إن هذه العاطفة المشوبة بالجهل كثيراً ماكانت حرباً على الإسلام، فقد اعتصمت الأقليات في الجبال الحصينة نتيجة حربها أو اضطهادها وعاشت حياة بئيسة الأمر الذي جعلها تزداد حقداً وحنقاً على المسلمين وتنتهز الفرصة للإيقاع بهم، وهذا ما كان له الأثر

البالغ فيما بعد، وكان على العثمانيين أن يوزعوا هذه الأقليات في أرجاء العالم الإسلامي الواسع لتذوب فيه وينتهى أمرها إلى الأبد. والحياة البسيطة والفقر حملا بعض المسلمين الجهلة ليسلكوا طريق الزهد، وهذا ما ساعد على انتشار الطرق الصوفية حتى إن الدولة قد حمت هذه الطرق، بل إن بعض السلاطين كانوا من أتباعها، وهذا ماكان له أثره السيىء في إماتة الجهاد، وإفقار البلاد، والبقاء في حالة من الجهل وإدخال إلى الإسلام ماليس منه. وإن الفقر الذي كان يسود البلاد أدى في الوقت نفسه إلى الأكتفاء بالقليل والقناعة بالموجود فكانت الحياة بسيطة لاتعقيد فيها. وإن ضعف السلطة في نهاية الدولة أدى إلى اختلال نظام الأمن، فساد الخوف، وقلت الزراعة، وزاد الفقر، وسطا اللصوص على الناس، وانتشر قطاع الطرق، وسيطر رجال القبائل، ووجهاء القرى والأحياء، فكان النفوذ للقوة، وبسط الزعماء نفوذهم ووضعوا أيديهم على أراضي جوارهم فانتشرت الملكية الواسعة، واستغل هذا كله الصليبيون ونشروا الدعاية ضد العثمانيين ولا تزال هذه الدعايات قائمة على الرغم مما بذلوه من توحيد البلاد الإسلامية والوقوف في وجه الصليبيين منذ أيام البرتغاليين حتى الحرب العالمية الأولى وقاتلوا أعوانهم من الأقليات، وفتحوا البلاد، وتقدموا في أوربا، ونشروا الإسلام في قفقاسيا بين الشراكس حتى اعتنقوه بأغلبيتهم، وكذا في أوروبا وإفريقية، ولا تزال القلاع العثمانية ماثلة في تشاد وغيرها وكانت مراكز للدعوة ومنطلقا لها.

أما في عهد تركيا الحديثة فقد زالت معالم الحياة الإسلامية تقريباً إذ أصبحت القبعة هي الشائعة، وسفرت النساء بعد أن أجبرت على رفع الحجاب وترك لباس الحشمة وانتشر الاختلاط، وغدا النداء للصلاة بالتركية، وانتشر الخمر، وكان مصطفى كمال أكبر المدمنين عليه، وعمت الدعارة وكان رئيس الجمهورية أكثر الرجال وقوعاً في حمأة الرذيلة وأكثرهم تهتكاً، وفقدت الأسرة الإسلامية كثيراً من مقوماتها، وابتعد عدد من الناس عن الحياة الاجتماعية واعتزلوا في مناطقهم، الأمر الذي زاد البلاد فقراً وخاصة في المناطق الشرقية، وبدأ الفرق كبيراً بين الأغنياء والفقراء بسبب تعقيد الحياة وانتشار الصناعات الحديثة والتي غدت حاجات أساسية عندما تتأمن الأموال اللازمة لثمنها، وبذا أصبح المجتمع طبقات، وانصرف الناس إلى الحياة المادية، وغدت الوسائل كلها مسموح بها في سبيل الحصول على المال، وهكذا تبدلت الحياة الاجتماعية كلياً، وأصبحت أقرب